

\*Translated by: Muhammad Abd al-Mumin | ترجمة: محمد عبد المؤمن

## وثيقة إسبانية حول تحرير أسرى من قصبة سلا سنة 1632

### A Spanish Document on Redemption of Captives in Salé 1632

بعد طرد المورسكيين من إسبانيا سنة 1609، استقرت مجموعة منهم في مصب وادي رقراق، في المدينة المسماة حالياً الرباط، وقد تمكّن هؤلاء المطرودون من إعادة بناء المدينة ومن تأسيس دويلة مستقلة استمرت عدة سنوات. عرفت تلك الفترة انتعاش النشاط القرصاني الذي موله وقاده مجموعة من الأندلسيين القادمين من مدينة هورناتشوس والذين تمكّنوا من تحقيق أرباح كبيرة من خلال بيع البضائع المصادرية ومن أموال افتتاح الأسرى. تسلط هذه الوثيقة، التي نقلناها من اللغة الإسبانية، الضوء على النشاط القرصاني، وعلى مسألة تحرير الأسرى التي كانت مهمة برع فيها الرهبان الثالثوبيون، كما تسلط الضوء على ضحايا النشاط القرصاني.

**كلمات مفتاحية:** المورسكيون، الجهاد البحري، القرصنة، جمهورية أبي رقراق، الرهبان الثالثوبيون

Following the expulsion of the Moriscos from Spain in 1609, a group of them settled at the mouth of the Bou Regreg river in the city now called Rabat. These exiles were able to rebuild the city and found a statelet that endured for some years. This period witnessed a revival in piracy, which was funded and led by a group of Andalusians from the city of Hornachos that were able to make large profits by selling stolen goods and ransoming prisoners. This document, translated from Spanish, sheds light on piracy and the issue of freeing captives, an undertaking by monks of the Trinitarian Order, and the victims of piracy.

**Keywords:** Moriscos, War at Sea, Piracy, Bou Regreg, the Trinitarian Order.

\* باحث مغربي وأستاذ التعليم الثانوي التأهيلي.

Moroccan Researcher and Teacher in Secondary and Vocational Education.



## مقدمة<sup>(1)</sup>

بعد ترحيلهم من شبه الأراضي القشتالية تنفيذاً للقرار الطرد القسري الصادر ضد مورسكيي<sup>(2)</sup> قشتالة، وفد على بلدان شمال أفريقيا هؤلاء المهجرون، فاستقر بعضهم في البوادي، وفضلت أغلبتهم الاستقرار في المدن، خصوصاً الساحلية منها. وبالنسبة إلى المغرب فقد استقرت جماعات مورسكية كثيرة العدد في طوان وفاس وسلا ومدن أخرى.

وبعتبر استقرار المورسكيين في مصب أبي رراق<sup>(3)</sup> عاملاً أساسياً في انطلاق النشاط القرصاني<sup>(4)</sup> وازدهاره، إلى أن صارت لقراصنة سلا سمعة عالمية، إضافةً، بطبيعة الحال، إلى عوامل أخرى من بينها:

<sup>1</sup> المقصود سلا في الوثيقة مدينة الرباط الحالية وقد كانت آنذاك مقسمة إلى قسمين: القصبة التي سكنها الهروناشيون والمدينة التي سكنتها عناصر مورسكية مختلفة. أما القصبة فتقع على الضفة الجنوبية لمصب أبي رراق، وتشكل جزءاً من مدينة الرباط، وتسمى حالياً قصبة الوداية.

<sup>2</sup> المورسكيون هم الأندلسيون الذين فرّوا عليهم التنصر بموجب مرسوم التنصير الإجباري الصادر سنة 1502.

<sup>3</sup> أبو رراق نهر مغربي يصب في المحيط الأطلسي، وبمصبه مدینتان هما سلا في الضفة الشمالية، والرباط في الضفة الجنوبية.

<sup>4</sup> يفضل بعض الباحثين أن يسموا هذا النشاط بـ "الجهاد البحري" بدلاً من القرصنة.

✿ غياب سلطة مركبة قوية.

- ✿ تحول الطرق التجارية من البحر الأبيض المتوسط إلى المحيط الأطلسي مع ما صاحب ذلك من زيادة في حركة السفن التجارية.
- ✿ الموقع الجغرافي لمصب أبي رقراق وخصائصه الهيدرولوجية.
- ✿ استيلاء الإسبان على المعمورة<sup>(5)</sup> سنة 1614، وانتقال القرصنة الأوروبيين المحترفين إلى الرباط حيث وجدوا المورسكيين على استعداد للتعاون معهم.
- ✿ رغبة المورسكيين المطرودين في الانتقام من إسبانيا، وتوفّرهم على ثروات مالية مهمة مكتنّ لهم من تمويل العمليات القرصانية، خصوصاً في مراحلها الأولى.

لقد بدأت الغارات القرصانية سنة 1616 بقيادة رياض هورناشيين<sup>(6)</sup> تصل إلى السواحل الإسبانية. وفي سنة 1627<sup>(7)</sup>، وهي السنة التي ثار فيها المورسكيون وأسسوا دويلة مستقلة، ازداد نشاط السفن القرصانية كثافة وشدة، وقد واكب هذه التحولات زيادة في عدد السفن التي وصلت سنة 1629 إلى 60 سفينة بحسب تقديرات الأميرال الفرنسي إسحاق دزرائيلي<sup>(8)</sup>. غير أن نشاط قراصنة أبي رقراق وحجم أسطولهم كان يعرف مداً وجزراً بحسب الظروف المرتبطة أساساً بالازمات السياسية التي كانت تعرفها المنطقة، والمتمثلة تحديداً في الحروب الأهلية بين العناصر المورسكية المتصارعة من جهة وبقي القوى المحلية من جهة أخرى، وكان هذا الصراع يؤدي إلى توقيف النشاط القرصاني نظراً إلى انشغال الممولين ومجهزي السفن والرياس والملاحين بالمشكلات السياسية والصراعات. عموماً، فإن النتيجة التي ترتب على حركة القرصنة هي اغتناء بعض سكان الرباط؛ لما أدرته عليهم من ثروات، وقد جاءت هذه المداخل من البضائع المصادرية ومن أموال افتراك الأسرى.

وفي هذا الإطار، لا بد من التذكير بدور الرهبانية الثالثوية<sup>(9)</sup> التي تأسست سنة 1194 على يد الفرنسي جون دي مانا<sup>(10)</sup>؛ إذ عمل الآباء الثالثيون على جمع الأموال وبذل الجهد في سبيل افتراك المسيحيين الذين وقعوا في الأسر والرق. ونجد في الوثيقة اسم الراهب سبستيان دي لا مادري دي ديوس<sup>(11)</sup> الذي اتصل بمجلس الديوان وفاوضه في شروط افتراك الأسرى، كما اتصل بمجموعة من الأشخاص وفاوضهم في مبلغ الفدية ورافق المحررين إلى إشبيلية أو ودعهم فيها.

## عنوان الوثيقة ومصدرها

اسم الوثيقة باللغة الإسبانية هو Redención de Cautivos en Salé año 1632. وتوجد ضمن محفظة تضم العديد من الوثائق المتعلقة بتحرير الأسرى وخصوصاً من المغرب، وهي محفوظة في الأرشيف الوطني التاريخي Archivo Histórico Nacional بمدريد.

أما مصدر الوثيقة فهو:

5 اسمها الحال مهدية وهي مدينة مغربية توجد على مصب وادي سبو.

6 الهورناشيون هم مورسكيون طردوا من بلدة هورناشوس بإقليم إشترمادور واستقروا في قصبة الوداية.

7 Brahim Boutaleb et al., *Histoire du Maroc* (Paris: Hatier, 1967), p. 231.

8 جبرون وايسنر، "المغرب وقراصنته: المغاربة في القرن 17"، مجلة البحث العلمي، العددان 29-30 (1979)، ص 24.

9 رهبانية كاثوليكية أسسها جون دي مانا، كان الهدف من تأسيسها العمل على افتراك الأسرى المسيحيين.

10 راهب فرنسي ولد سنة 1160 وتوفي سنة 1213، أسس مع فيليكس دي فالوا الرهبانية الثالثوية.

11 راهب ثالوبي جاء إلى سلا الجديدة (الرباط حالياً) سنة 1632 بهدف افتراك الأسرى المسيحيين، وهو طرف رئيس في هذا العقد.

A.H.N. Códices, Legajo 128, Libro del Consejo Real de Justicia de la Rendicion de Cautivos en Tetuan y Alcazaba de Salé, "Rendicion de Cautivos en Salé año 1632."

## لغة الوثيقة

كتبت هذه الوثيقة بلغة قشتالية قديمة يسمى بها الباحثون قشتالية العصر الذهبي<sup>(12)</sup>، وهي تختلف قليلاً عن القشتالية المعاصرة؛ لوجود بعض الكلمات والتراكيب اللغوية التي لم تعد مستعملة، إضافةً إلى اختلاف في كيفية كتابة بعض الحروف كحرف s الذي يكتب بهذا الشكل f وكذلك حرف n الذي يكتب y.

## نص الوثيقة: تحرير أسرى من قصبة سلا سنة 1632

### [شروط العقد]

في قصبة سلا في 3 آب / أغسطس 1632، اجتمع السيدان عبد الله ميسا وحامد بن ليما<sup>(14)</sup>، بموافقة من مجلس الديوان<sup>(15)</sup>، بالأب سبستيان دي لا مادري دي ديوس، من الرهبانية الثالوثية، وكان الهدف من اللقاء، فداء الأسرى المحتجزين في هذه القصبة. وفيما يلي تفاصيل ما جرى في هذا اللقاء:

- اشترط السيدان الحاكمان، أن تتم عملية تسليم السجناء في مدينة العرائش<sup>(16)</sup>، التي تسيطر عليها إسبانيا. وعندما يصل السجناء إلى العرائش، يتم تسليمهم إلى الأب سبستيان أو إلى أحد من المكلفين، مقابل تسليم مبلغ الفدية للأشخاص الذين سيكلفهم حاكماً قصبة سلا ومجلس ديوانها.
- يجب الاتفاق على مبلغ الفدية، وأن يوافق عليه الطرفان، كما يجب أن يؤدى بالفضة.
- على الأب سبستيان وسائر المكلفين بالعملية ومن سيكلفه في المستقبل، احترام ديانة سكان القصبة وملائكة السفن، كما يجب احترام الرهبان وموظفي الملك.
- يجب ألا تتعرض السفن التي ستنتقل السجناء من سلا إلى العرائش لأي مضائقات من سفن الأسطول الإسباني سواء أثناء الذهاب أو رحلة الإياب.
- على الأب سبستيان أن يضمن عدم فرار السجناء أو اعتدائهم على المسلمين أثناء نقلهم من سلا إلى العرائش، لأن السجناء المسيحيين سيكونون أكثر عدداً من البخاراء المسلمين، وفي حال فرار المسيحيين أو تمردهم، فعلى المكلفين بالعملية أداء المبالغ المتفق عليها، كما يجب أن يسمح للسفن بالعودة إلى سلا وهي محملة بالسلع والفضة، وألا تتعرض لأي هجوم أو مضائق من سفن جنالة الملك.
- على الأب سبستيان والمكلفين بالعملية الحصول على موافقة جنالة الملك، ليضمن تطبيق هذه الشروط.

12. حقبة زمنية استمرت قرنين، وشهدت فيها إسبانيا استقراراً سياسياً ورخاءً اقتصادياً وابتهاً انتعاش كبيراً للفنون والأداب.

13. ما بين مغوفقين من إضافة المترجم.

14. رئيس مجلس الديوان سنة 1632.

15. كان يسير المدينة خلال تلك الفترة مجلس حكم جماعي يسمى الديوان، برأسه حاكمان مدة ولايتهما سنة واحدة.

16. مدينة في شمال المغرب على ساحل المحيط الأطلسي عند مصب وادي اللوكوس، كانت تحتلها آنذاك إسبانيا.

- ✿ على الأب سبستيان والمكلفين بالعملية أداء مبلغ 50 ريالاً عن كل أسير مسيحي يغادر قصبة سلا، وهذا نصف مبلغ الضريبة المفروض على كل من يغادر من ميناء سلا، وهذه المبالغ تؤدى عند مغادرة الأسرى المسيحيين المدينة.
  - ✿ يسمح لثلاثة أو أربعة رهبان بالقدوم إلى قصبة سلا لتوفير الراحة للسجناء، من أجل الإعداد لعملية إطلاق سراحهم، كما يمكنهم اختيار مواعيد مجئهم ومغادرتهم، ويسمح لهم أيضاً بإقامة القدس مثلما هي الحال في إسبانيا.
  - ✿ يسمح للرهبان الفرنسيسكان بزيارة الرعاية الصحية للسجناء، سواء في هذه القصبة أو في السفن والراكب المملوكة لهم، كما يجب عدم مضايقتهم أو أسرهم أو مصادرة مراكبهم وأموالهم وأمتعتهم، ويجب أيضاً تقديم يد المساعدة لهم، والحفاظ على أنفسهم وسلامتهم، وسلامة السفن التي ستقلّهم.
- هذه هي الشروط التي اتفق عليها الطرفان، ووقعها الحاكمان سالفا الذكر، وأعضاء مجلس الديوان والأب سبستيان، في التاريخ المشار إليه سابقاً.

#### التوقيعات

عبد الله بن علي ميسا  
 موسى بن محمد سانتياغو  
 محمد بن علي متدوازا  
 أحمد أغواشير  
 محمد روخو  
 موسى روخاس  
 علي زويتان  
 إسماعيل غرسية  
 محمد قزمان

الأب سبستيان دي لا مادري دي ديوس  
 المؤتّق إبراهيم ميرينو

هذه نسخة عن العقد الأصلي التي ظلت بحوزة الأب سبستيان دي لا مادري دي ديوس الذي سلمت له بعدما وقعها في قصبة سلا.

#### [لائحة الأسرى المحررين]

استلم الأب المكلف بعملية تحرير الأسرى، سبستيان دي لا مادري دي ديوس، وبحضوره أنا المكلف بالتوثيق، دومينغو بينيرو وهو من جليقية<sup>(17)</sup> وعمره 17 سنة، ابن أندريس بينيرو وماريا ريدوندو، والذي أسره القرصان بوكاروبا قبل خمسة أو ستة أشهر وهو يصطاد في البحر، وقد لبث كل هذه المدة أسيراً في القصبة، وكان مملوكاً لعلي قزمان الذي استلم من الأب سبستيان مقابلة ما قيمته 2000 ريال قشتالي، بعضها نقداً وبعضها الآخر أغطية ومنسوجات، وحضرت ذلك أنا المكلف بالتوثيق.

17 إقليم إسباني يقع في أقصى الشمال الغربي، كانت سواحله وشواطئه مسرحاً لنشاطات القرصنة.

خوان دي ريباديyo من كامبادوس<sup>(18)</sup> في جليقية، عمره ثلاثون سنة، ابن خوان غونزاليس وماريانا دي ريباديyo، والذي أُسر عند رأس فينيبوسطيرا<sup>(19)</sup> من طرف مامي رايس، وقد بقي أسيراً في القصبة في ملك أحمد روندة، الذي استلم مقابل إطلاق سراحه ما قيمته 1832 ريالاً، بعضها نقداً وبعضها الآخر حزم صوف ومنسوجات وأغطية. وقد حضرت تحرير الأسير ووقع العقد أنا المكلف بالتوثيق، كما وقعه الأب المكلف بتحرير الأسرى.

تم تحرير بيذرو بلادان وهو من جزيرة لا ترثيرا<sup>(20)</sup>، ابن مانويل جودين ولوسيانا بلادان، والذي أسره القرصان بوكاروبا عند رأس فينيبوسطيرا وهو يصطاد. وقد لبث في الأسر نحو خمسة أشهر قضاهَا في القصبة في ملك علي قرمان الذي استلم مقابل تحريره ما قيمته 2000 ريال قشتالي، بعضها نقداً وبعضها الآخر منسوجات وأغطية وحزم من الصوف.

تم تحرير مانويل دي إيسترادا، وهو فتى في الخامسة عشرة، أبيض الوجه، ابن فرانسيسكو دي إيسترادا وماريانا دومينيغيز ديل تورو، وهو من بلدة تورو<sup>(21)</sup>، والذي أسره القرصان بوكاروبا، قبلة بلدة ليموس عندما كان يبحر على مركب، وقد مكث أسيراً نحو ستة أشهر قضاهَا في سجن قصبة سلا في ملكية رجل يدعى أيت، اتفق معه الأب سبستيان على فدية قيمتها 2461 ريالاً من الفضة، دفع منها 1232 ووعلده بدفع المبلغ المتبقى في مدينة العرائش، وقد كنت شاهداً على ذلك.

تم تحرير دومينغو غونزاليس، وهو فتى في السادسة عشرة، من فلغيريسيا دي بولاكو من جليقية، ابن بيذرو غونزاليس وكونستانسا دي لا غليسيا، والذي أسره القرصان علي ليغوا قبل شهرين عندما خرج لاصطياد السردين أمام شاطئ فيغو<sup>(22)</sup>، وقد لبث هذه المدة في ملكية أحمد الغواصيل وعلى موراليس وهما من قصبة سلا، وقد افتداه الأب سبستيان بمبلغ 2000 ريال؛ ثلثها فضة وثلثها الآخران حزم من الصوف وأقمصة وأغطية ومنسوجات أخرى تؤدى كلها في العرائش. وقد وقع العقد الأب سبستيان وأنا المكلف بالتوثيق.

تم تحرير أليبرتو بربابو من فلغيريسيا دي سانتا، ابن ألفونسو بربابو ومارية غونزاليس، عمره 40 سنة، أسره القرصان علي ليغوا قبل شهرين وهو يصطاد السردين أمام شاطئ فيغو، وقد مكث هذه المدة في قصبة سلا في ملكية أحمد الغواصيل وعلى موراليس، والذين اتفقا معهما الأب المكلف بالعملية على فدية قيمتها 2000 ريال؛ ثلثها فضة وثلثها الآخران حزم من الصوف وأقمصة وأغطية ومنسوجات أخرى تؤدى كلها في العرائش. وقد وقع العقد الأب سبستيان وأنا المكلف بالتوثيق.

تم تحرير خوان دي سانتا مارية، وهو طفل عمره 10 سنوات من منطقة سان خوخيا في لا كورونيا<sup>(23)</sup>، ابن خوان دي سانتا مارية ومارية دي سانتا مارية. أسره القرصان موسى قبل ثلاثة أشهر وهو يصطاد مع عمه، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا في ملكية ماشي عطية، الذي اتفق معه الأب سبستيان على فدية قدرها 2000 ريال أخرى تؤدى كلها في العرائش. وقد وقع العقد الأب سبستيان وأنا المكلف بالتوثيق.

18 بلدة إسبانية في إقليم جليقية.

19 رأس بحري في أقصى شمال إسبانيا.

20 جزيرة صغيرة في أقصى شمال إسبانيا، وهي تابعة لإقليم جليقية.

21 قرية في إقليم جليقية.

22 مدينة إسبانية كبيرة تقع في شمال غرب البلاد على ساحل المحيط الأطلسي.

23 مدينة كبيرة تقع في شمال إسبانيا على الساحل الأطلسي.

تم تحرير ألونسو دي رويدا من مدينة كارمونة<sup>(24)</sup>، عمره 28 سنة، وهو جندي في الأسطول البحري الإسباني، ابن خوان دي رويدا ومارية سانشيز. أُسر قبل سنة ونصف في المعمورة بعد إصابته من أحد الجنود المسلمين، وقد لبث كل هذه المدة في قصبة سلا مملوّكاً لدلي القبطان فيجيل، وهو مسلم من سكان القصبة، والذي اتفق معه الأب المكلّف على فدية قدرها 2000 ريال أخرى تؤدّى كلها في العرائش. وقد وقّعه الأب سبستيان وأنا المكلّف بالتوثيق.

تم تحرير غونزالو مارتين، من مدينة إستجة<sup>(25)</sup>، عمره 51 سنة، وهو جندي في الكتيبة المستقرة بالمعمورة، ابن مارتين ومارية غوتيريز. أُسر قبل سنة ونصف بعد هزيمة الكتيبة المذكورة في مواجهة مع عدد من المسلمين، أصبح حينها، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا في ملك علي مالي الذي اتفق معه الأب المكلّف بالعملية على فدية قدرها 2250 ريالاً نصفها من الفضة ونصفها الآخر حزم من الصوف وأقمصة وأغطية ومنسوجات أخرى. وقد وقّعه الأب سبستيان وأنا المكلّف بالتوثيق.

تم تحرير مارية ألونسو، من بلدة ريباديو في جليقية، عمرها 24 سنة، ابنة ميرين بلانكو ومارية ألونسو. أسرها قراصنة أتراك وهي قادمة من بلدتها، في مدينة سان لوكار<sup>(26)</sup>، ومنذ ذلك الحين وهي أسييرة في قصبة سلا في ملكية علي مالي، الذي اتفق معه الأب المكلّف بالعملية على فدية قدرها 2201 ريال نصفها من الفضة ونصفها الآخر حزم من الصوف وأقمصة وأغطية ومنسوجات أخرى، تؤدّى كلها في العرائش. وقد وقّعه الأب سبستيان وأنا المكلّف بالتوثيق.

تم تحرير دومينغو مونتيس، عمره 14 سنة، من منطقة غروف في جليقية، ابن دومينغو دي مونتيس ومارية دي توريس. أسره القرصان تورايغ الرئيس التونسي قبل سنة، ومنذ ذلك الحين وهو في ملكية علي قزان الذي اتفق معه الأب المكلّف على فدية قدرها 2500 ريال تؤدّى 2150 ريالاً منها بالفضة، والباقي على شكل بضائع.

تم تحرير خوان مارتين من مدينة كرمونة، ابن غونزالو مارتين وكتالينا سانشيز، وقد لبث في السجن خمس سنوات منذ أسره قرب المعمورة بعد إصابته، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا يعاقب بالأشغال الشاقة. وقد اتفق الأب المكلّف بعملية التحرير مع مالكه المدعو محمد غوارديان على فدية قدرها 2000 ريال، ثلثها فضة وثلثها الآخران حزم من الصوف وأقمصة وأغطية ومنسوجات أخرى، تؤدّى كلها في العرائش. وقد وقّعه الأب سبستيان وأنا المكلّف بالتوثيق.

تم تحرير آنا فيريرا من مدينة بورتو، عمرها 34 سنة، ابنة سيمون روبيغيز ومارغاريتا. أُسرت قبل خمسة أشهر وهي مسافرة إلى لشبونة على ظهر مركب قبالة شاطئ بويروتو دي سان خوان دي لوث<sup>(27)</sup>، أسرها القرصان بوكاروبا، ومنذ ذلك الحين وهي في ملك موسى أوليارييس الذي اتفق معه الأب سبستيان على فدية قدرها 1900 ريال، ثلثها فضة وثلثها الآخران حزم من الصوف وأقمصة وأغطية ومنسوجات أخرى تؤدّى كلها في العرائش.

تم تحرير خوسي بيدرو دي بلاس من مدريد، عمره 25 سنة، ابن فرانسيسكو دي بلاس ومارية بارتولومي. وهو جندي أُسر قبل خمس سنوات قبالة شاطئ المعمورة عندما قدم رفقة فرقته العسكرية لنجد الجنود المحاصرين من المجاهدين

24 بلدة إسبانية تقع بالقرب من مدينة إشبيلية.

25 بلدة إسبانية تقع بالقرب من مدينة إشبيلية.

26 بلدة إسبانية تقع بالقرب من مدينة قادس.

27 شاطئ في أقصى جنوب غرب فرنسا على ساحل المحيط الفرنسي.

ال المسلمين داخل المعمورة، وقد لبث كل هذه السنوات مسجونةً في زنازين قصبة سلا في ملك القائد عبد الله غوميث الذي اتفق معه الأب المكلّف بعملية التحرير على فدية قدرها 2240 ريالاً، قسم منها فضة والباقي منسوجات وأقمشة وأغطية.

تم تحرير خوان مارتينيز من مدريد، عمره 19 سنة. أسره مسلمو قصبة سلا في المعمورة وهو يؤدي واجبه العسكري، ومنذ أسره وهو في ملك علي بوشيتو، الذي اتفق معه الأب سبستيان على فدية قدرها 2000 ريال.

تم تحرير خوان لوبيث من طلبيرة دي لا رينا، عمره 22 سنة. أسر منذ سنة ونصف في المعمورة وهو يؤدي واجبه العسكري، ومنذ ذلك الحين وهو في زنازين قصبة سلا في ملك علي بوشيتو، الذي اتفق معه الأب المكلّف بالعملية على فدية قدرها 2000 ريال.

بيدرو أودونيسيز، عمره 20 سنة، من ويلبة. أسره القرصان أحمد الرئيس، الذي كان مسيحيًا فارتدى، ومنذ أسره وهو في ملك أحمد بن ميرينديك.

إستبيان دي كارمونة، من منطقة أغيلار دي لا فرونتيرا<sup>(28)</sup>، عمره 20 سنة. كان أسيراً في القصبة مملوكاً لإبراهيم أولياباريس، تم تحريره مقابل 2000 ريال.

تم تحرير خوان دورادو من مدينة سانتياغو في جليقية، عمره 20 سنة، أسره القرصان أبيريراتو قبل أربع سنوات وهو يصطاد في سواحل جليقية، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا في ملكية مجلس الديوان الذي اتفق معه الأب المكلّف بعملية التحرير على فدية قدرها 2000 ريال.

سيمون ليوناردو من مدينة لشبونة، عمره 36 سنة. أسره القرصان موسى الرئيس قبل ثلاث سنوات وهو يصطاد السمك قبالة شاطئ لشبونة، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا مملوكاً لمجلس الديوان الذي اتفق معه الأب سبستيان على فدية قدرها 2000 ريال.

تم تحرير غونزالو ديل بالي، من مدينة مربلة<sup>(29)</sup>، عمره 25 سنة، وهو جندي من الفرقة العسكرية التي جاءت لنجد الجنود المحاصرين في المعمورة، ومنذ خمس سنوات وهو أسير في قصبة سلا في ملكية مجلس الديوان الذي اتفق معه الأب سبستيان على فدية قدرها 2000 ريال.

تم تحرير خوان دوستو، عمره 26 سنة، من مدينة مالقة، وهو جندي تم أسره عندما هُزمت القوات الإسبانية التي جاءت لإنقاذ الجنود المحاصرين في المعمورة أمام المرابطين المسلمين<sup>(30)</sup>، ومنذ خمس سنوات وهو أسير في قصبة سلا في ملكية مجلس الديوان الذي اتفق معه الأب سبستيان على فدية قدرها 2000 ريال.

<sup>28</sup> بلدة إسبانية تقع بالقرب من مدينة قرطبة.

<sup>29</sup> مدينة إسبانية تقع في أقصى جنوب البلاد على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

<sup>30</sup> حاصر المجاهدون بقيادة العياشي المعمورة سنة 1628 وتمكنوا من السيطرة عليها فترة وجيزة بعد إلحاقهم الهزيمة بالقوات التي أرسلت من إسبانيا لإنقاذ المحاصرين، لكن سرعان ما تم إرسال قوات جديدة ووصلت إلى المنطقة على متن 35 سفينة انطلقت من مدينة قادس. للتوسع في موضوع الوجود الإسباني في المعمورة، انظر: Antonio Torrecillas Velasco, *Dos civilizaciones en conflicto: España en el África musulmana, historia de una guerra de 400 años (1497-1927)*, Valladolid: Quirón Ediciones, 2006).

تم تحرير خوان بيدرو رو DAL، فتى عمره 16 سنة، من بلدة كانغاس في جليقية، أسره القرصان علي الرايس قبل شهر وهو يصطاد السمك قبلة شاطئ جزيرة بايونة<sup>(31)</sup>، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا في ملك إبراهيم ميرينو الذي اتفق معه الأب سبستيان على فدية قدرها 2000 ريال.

تم تحرير دومينغو هيريرا، الذي خدم الملك أكثر من ثلاثين سنة في بقاع متعددة من المملكة، والذي يقيم إقامة دائمة في ميناء سانتا ماريا، حيث مقر فرقته العسكرية، وهو يبلغ من العمر حالياً 60 سنة. أُسر قبلة شاطئ العمورة عندما قدم رفقة فرقته العسكرية لنجد الجنود المحاصرين، لكنهم هُزموا أمام المجاهدين المسلمين، وقد قضى خمس سنوات أسيراً في قصبة سلا في ملك علي الغواصيل الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 1000 ريال.

تم تحرير الرقيب خوان سوسا، من مدينة أوريينسي<sup>(32)</sup>، عمره 40 سنة. أُسر قبل خمس سنوات قبلة شاطئ العمورة، عندما قدم رفقة فرقته العسكرية لنجد الجنود المحاصرين لكنهم هُزموا أمام المجاهدين المسلمين، وقد كان حينها رقيباً في كتبية دون خوان بلتا ثار، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في ملك علي كايس الذي اتفق معه الأب المكلف على فدية قدرها 2120 ريالاً.

أنطونيو ديل تورال، عمره 54 سنة، من غرناطة. أسره قبل خمسة أشهر القرصان التركي المعروف باسم أحمد لولا قبلة جبل طارق، وهو مسافر عبر البحر إلى العمورة، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا في ملك علي فيشي الذي اتفق معه الأب المكلف بالافتداء على فدية قدرها 1500 ريال.

خوان ديل تورال، طفل عمره 10 سنوات، من غرناطة، وهو ابن الأسير المشار إليه سابقاً، كان رفقة والده عندما أُسر قبل خمسة أشهر، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا في ملك الشخص نفسه الذي يملك والده، والذي اتفق معه الأب المكلف بعملية التحرير على فدية قدرها 2500 ريال.

خوان ماريبينيز، من ميناء سانتا ماريا، عمره 50 سنة. أُسر قبل سنتين قبلة شاطئ قادس<sup>(33)</sup> وهو يصطاد السمك، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا في ملك لويس بيريز، الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 570 ريالاً.

تم تحرير ديفيغو سيرانو، من بلدة سان كليمينتي<sup>(34)</sup>، عمره 55 سنة. أُسر قبل خمس سنوات في شاطئ العمورة، عندما هُزمت فرقته العسكرية التي جاءت لإغاثة الجنود الإسبان المحاصرين في العمورة أمام المجاهدين المسلمين، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا في ملك أحمد مغييل بيريز، الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 1840 ريالاً.

فرانسيسكو دورادو، طفل من بلدة فيغو في جليقية، عمره 10 سنوات ونصف. أُسر في جزيرة بايونة وهو يصطاد السمك مع والده، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا في ملك القبطان سيريون، الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 570 ريالاً.

تم تحرير خوان راميريز ديل بويرتو، من منطقة سان خوان ديل بويرتو، التابعة لكونتية نيبيلة، عمره 70 سنة. أسره قرصان تونسي في شاطئ أيامونتي قبل سنة ونصف، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا في ملك عبد الله لا راشي، الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 1120 ريالاً.

31 جزيرة صغيرة في أقصى شمال غرب إسبانيا.

32 مدينة إسبانية تقع في شمال غرب إسبانيا.

33 مدينة إسبانية تقع في جنوب غرب البلاد على ساحل المحيط الأطلسي.

34 بلدة تقع في وسط إسبانيا قرب مدينة مدريد.

أنطونيو لورينزو، من بلدة بونتيبيدرا، عمره 70 سنة، أسره المرتد<sup>(35)</sup> تشا فارييز من جزيرة بايونة قبل خمسة أشهر، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا في ملك الحكم والقطبان ميسا، الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2000 ريال.

خوان كونترین، من منطقة موخيما في جليقية، عمره 52 سنة. أسره المرتد تشا فارييز وهو يتتجول في شاطئ جزيرة بايونة قبل خمسة أشهر، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا في ملك الحكم والقطبان ميسا، الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2000 ريال.

تم تحرير خوان دي لا إغليسيا، من منطقة ساشينشو في جليقية، وهو فتى عمره 13 سنة. أسره المرتد تشا فارييز قبل خمسة أشهر من رأس فينيبوستيرا وهو يصطاد السمك، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا في ملك الحكم والقطبان ميسا، الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2000 ريال.

تم تحرير غاسبار أنتونيز، من منطقة لاس بروثاس قرب قصر كثيريس<sup>(36)</sup>، عمره 50 سنة. أسر بعد هزيمة جنود جلاله الملك في المعمورة قبل خمس سنوات، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا في ملك علي ميلادو، الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2000 ريال، ثلثها فضة وثلثها الآخران حزم من الصوف وأقمصة وأغطية ومنسوجات أخرى، تُؤَدَّى كلها في العرائش.

تم تحرير غونزالو ديلينا، من بلدة سان خوان ديل بويرتو، عمره 46 سنة. أسره قبل ستين القرسان علي الرئيس الذي كان يقود عدداً من المراكب القرصانية، من شاطئ أيامونتي<sup>(37)</sup>، وهو يصطاد السمك، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا في ملك سيدي موسى التونسي، الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2000 ريال.

تم تحرير خوان دي أبيليس، من فيغو في جليقية، عمره 17 سنة. أسره القرسان علي الرئيس قبل ثلاث سنوات وهو يصطاد السمك في شاطئ جزيرة بايونة، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا في ملك علي موسى الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2000 ريال.

تم تحرير بيذرو كاسييو من مدينة إستجة، عمره 25 سنة. أسر قبل خمس سنوات بعد هزيمة جنود جلاله الملك الذين جاؤوا لنجد الفرقة العسكرية الإسبانية التي كانت محاصرة في المعمورة، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا في ملك أحمد هيزيوت الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2720 ريالاً.

تم تحرير الطفل البرتغالي أنطونيو رودريغيز، عمره 11 سنة. أسره القرسان بوكاروبا من جزيرة بايونة، قبل سنة ونصف، وهو يصطاد السمك مع والده، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا في ملك شعبان الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على فدية قدرها 2000 ريال.

تم تحرير برتولومي دي لاميز من بورتو نوفو في جليقية، عمره 50 سنة. أسره القرسان ماريبيغ قبل سنة وهو يصطاد السمك، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في قصبة سلا في ملك الحكم أحمد بيتنو الذي اتفق معه الأب المكلف بالعملية على تحريره.

<sup>35</sup> وصف يطلق على المسيحيين الأوروبيين الذين تخلوا عن ديانتهم واستقروا في أحد البلدان الإسلامية.

<sup>36</sup> مدينة إسبانية تقع ضمن إقليم إشترمادورا.

<sup>37</sup> مدينة إسبانية تقع في جنوب غرب البلاد على ساحل المحيط الأطلسي قرب الحدود البرتغالية.

تم تحرير دومينغو سانتياغو من بويرتو دي مارين، عمره 70 سنة. أسره القرصان التركي المدعو طریق قبل شهرین، وهو يصطاد السمک، ومنذ ذلك الحین وهو أسری في قصبة سلا في ملك الحاکم احمد بیتنو الذي اتفق معه الأب المکلف بالعملية على فدية قدرها 1600 ريال.

تم تحرير فرانسيسكو سانتياغو، عمره 15 سنة، وهو ابن الأسری المذکور سابقاً. أسره القرصان نفسه، ومنذ ذلك الحین وهو أسری في قصبة سلا في ملك احمد بیتنو الذي اتفق معه الأب المکلف بالعملية على فدية قدرها 2000 ريال.

تم تحرير دومینغو أوستا، من سانتياغو ديل كاريل في جليقية، عمره 60 سنة. أسره المرتد موريño قبل 8 أشهر وهو يصطاد في رأس فيني بوسیترا، ومنذ ذلك الحین وهو أسری في قصبة سلا في ملك احمد لا ثارو الذي اتفق معه الأب المکلف بالعملية على فدية قدرها 1200 ريال.

تم تحرير خوان دي برافو، طفل عمره 9 سنوات، من موخيكا في جليقية. أسره قبل خمسة أشهر القرصان المرتد خوريكي وهو برفقة عمه متوجهاً إلى شاطئ لا كورونيا للصيد، ومنذ ذلك الحین وهو أسری في قصبة سلا في ملك المعلم علي الذي اتفق معه الأب المکلف بالعملية على فدية قدرها 2500 ريال.

تم تحرير دومینغو مارتینيز، عمره 80 سنة، من بونتي فيدرا<sup>(38)</sup>، الذي أُسر قبل ست سنوات في المنطقة الحدودية بين جليقية والبرتغال وهو يصطاد، ومنذ ذلك الحین وهو أسری في قصبة سلا في ملك علي لونا الذي اتفق معه الأب المکلف بالعملية على فدية قدرها 1000 ريال.

تم تحرير خوان بيريز من سانتياغو في جليقية، عمره 50 سنة، وهو جندي أُسر قبل خمس سنوات عندما هزمت القوات الإسبانية التي جاءت لتحرير الجنود المحاصرين في العمورة أمام المجاهدين المسلمين، ومنذ ذلك الحین وهو أسری في قصبة سلا في ملك علي غالان الذي اتفق معه الأب المکلف بالعملية على فدية قدرها 1846 ريالاً نصفها فضة، ونصفها الآخر تبغ برازيلي.

تم تحرير كاتالينا ألونسو، من بینیش<sup>(39)</sup> في البرتغال، عمرها 24 سنة. أسرها القرصان الجزائري المعروف باسم علي غوكا الرئيس من منزل عمتهما برأس سان بیسیتني<sup>(40)</sup> قبل سنتين، ومنذ ذلك الحین وهي أسریة في قصبة سلا في ملك القبطان ثیرون الذي اتفق معه الأب المکلف بالعملية على فدية قدرها 1900 ريال.

تم تحرير غريغوريو غونزاليس، من ميناء سانتا أوفاميا في جليقية، عمره 25 سنة. أسره القرصان الجزائري المدعو طریق قبل أربعة أشهر وهو يصطاد السمک، ومنذ ذلك الحین وهو أسری في قصبة سلا في ملك احمد الرئيس الذي اتفق معه الأب المکلف بالعملية على فدية قدرها 1400 ريال.

تم تحرير خوان دي لا روميد، من ليزا التابعة لمقاطعة فونتي تیرابیا<sup>(41)</sup>، عمره 34 سنة. أسره القرصان الجزائري المرتد المدعو أريشيف قبل سنتين وهو عائد من الأرضي الهندية على متن سفينة من سفن جاللة الملك، التي يشتعل فيها بحّاراً، ومنذ ذلك الحین وهو أسری عند ذلك المرتد الذي اتفق معه الأب المکلف بالعملية على فدية قدرها 2160 ريالاً.

<sup>38</sup> مدينة إسبانية تقع في الشمال الغربي على ساحل المحيط الأطلسي.

<sup>39</sup> مدينة برتغالية تقع في وسط البلاد على ساحل المحيط الأطلسي قرب العاصمة لشبونة.

<sup>40</sup> بلدة إسبانية ساحلية تقع في أقصى الشمال على ساحل خليج غاسكوني، وتنبع إقليم كنتريرا.

<sup>41</sup> مدينة إسبانية تقع في أقصى الشمال على ساحل خليج غاسكوني، تحدها مدينة هنديا الفرنسية.

تم تحرير بيدرو ديلغادو، من كرمونة، عمره 37 سنة، فارس من الجنود الذين هُزموا في المعمورة قبل خمس سنوات، ومنذ ذلك الحين وهو أسير في ملك علي ويختل الذي اتفق معه الأب المكلّف بالعملية على فدية قدرها 2822 ريالاً.

## [توجه نحو طنجة في العرائش]

وفي 30 أيلول / سبتمبر 1632، قام الأب سبستيان دي لا مادري دي ديوس، المكلّف بعملية التحرير بعد انتهاء مهمته، بزيارة عدد من منازل المسلمين الذين يملكون أسرى مسيحيين، كما زار سجون القصبة من أجل الحديث مع عدد من الأسرى، فواساهم ووعظهم ونصحهم، كما طمأنهم بأنه سوف يسعى لتحريرهم في أقرب الأجال.

بعد ذلك حضر لوداعه أحد حكام القصبة، المدعو علي ميسا، في حين أنّ الحاكم الثاني لم يستطع الحضور بسبب حالته الصحية، كما جاء أيضًا عدد من أعضاء الديوان الذين رافقوه إلى الميناء حيث كانت ترسو الكرافيلا<sup>(42)</sup>، إضافة إلى سفينته التي جاء بها من العرائش فركب كل الأسرى المحررين، إضافة إلى الأب سبستيان، وأنا علي غونزاليس المكلّف بالتوثيق، وعدد من مسلمي قصبة سلا ليستلموا المبالغ المتفق عليها.

إن عدد من كانوا على متن السفينة هو 53، رغم أن هذا التقيد لا يضم سوى أسماء 51 من الأسرى المحررين، إذ أضيف إليهم اثنان آخران؛ هما خوان دي كابريرا وكتالينا ألونسو اللذان دفع الأب سبستيان فديتيهما خلال زيارته الأولى للقصبة.

وفي اليوم والشهر نفسهما، أبحرت السفينتان بين الساعة التاسعة والعشرة ليلاً، خوفاً من المجاهدين، كما أبلغنا القبطان والبحارة. وبعد أن غادرنا الميناء في طقس جميل وأصبحنا قبالة ساحل المعمورة، فاجأتنا عاصفة هوجاء تصاحبها أمطار غزيرة، ما تسبب في تسرب المياه إلى داخل السفينة، وقد أبحرنا طوال اليوم التالي في الظروف نفسها وصرنا لا نعرف أين نحن.

لقد تبللنا جميعاً وتضررت الأشرعة، ولم نعد نرى السفينة الثانية، وعند الفجر وجدت الأب سبستيان مبللاً وفي حالة مزرية، وفي ما بعد عرفت أنا قد وصلنا إلى طنجة التي سبق لي أن زرتها، فكان يجب علينا أن نحصل على إذن لدخولها، لكن الاقتراب من الشاطئ كان صعباً وخطيراً بسبب انكسار الصاري، وتمزق الأشرعة، فأرسل لنا دون فرناندو ماسكاريناس مركباً<sup>(43)</sup>، وتم إخلاء كل ركاب السفينة، ومن طنجة كان علينا البحث عن السفينة المفقودة، وبعد أربعة أيام من نزولنا في طنجة، بلغتنا أخبار مفادها أن تلك السفينة تمكنت من الوصول إلى العرائش.

وفي 21 من الشهر نفسه، تم جمع الأسرى المحررين، وغادرنا طنجة في سفينتين إحداها هي الكرافيلا التي جتنا بها من سلا وقصدنا العرائش ليتم تسليم المبالغ المتفق عليها فديةًّا للأسرى المحررين، ووصلنا إلى العرائش في 22 من الشهر نفسه.



42 سفينة شراعية صغيرة ذات أشرعة مثلثة طورها البرتغاليون خلال القرن الخامس عشر.

43 عسكري برتغالي معروف، كان آنذاك قائداً للحامية العسكرية بطنجة، وتولى فيما بعد منصب حاكم البرازيل. كانت مدينة طنجة آنذاك محطة من طرف البرتغاليين.

## References

## المراجع

### العربية

- وايسنر، جيروم. "المغرب وقراصنته: المغاربة في القرن 17". *مجلة البحث العلمي*. العددان 30-29 (1979).

### الأجنبية

- Boutaleb, Brahim et al. *Histoire du Maroc*. Paris: Hatier, 1967.
- Velasco, Antonio Torrecillas. *Dos civilizaciones en conflicto: España en el África musulmana, historia de una guerra de 400 años (1497-1927)*. Valladolid: Quirón Ediciones, 2006.